الفكرُ القرآني الجديد
عندَ العلامة الدكتور محمد الصادقي الطهراني

حمزة إمام موسى
جامعة المصطفى العالمية / قم، إيران

The New Quranic Thought of
Dr. Muhammad al-Sadiqi al-Tahrani

Hamza Imam Musa
Al-Mustafa International University / Qom, Iran
Email: hhmimam66@gmail.com

ملخص البحث

شهد أواخر القرن الماضي الهجري تطورا فكريا ، وتحولا قرآنيا كبيرا في العالم الإسلامي بين السنة والشيعة، ومن قادات هذه الحركة في العالم الشيعي العلامة الدكتور محمد الصادقي الطهراني، فقد وُلِد ونشأ وترعرع على مائدة القرآن، وبذل كل طاقاته في الدراسات الحوزوية والأكادمية على محوريته حتى حصل على درجة الاجتهاد العالي في كليهما، وخلّف للعالم الإسلامي عشرات الآثار القرآنية بين صغير وكبير، كما حاول تأسيس النهضة القرآنية بالحوزات العلمية ، فقد اكتشفنا كون المنشأ الفكري لسماحته متشكّلا من عناصر أربعة، كما تأصّل في كيانه الفكرُ القرآني على الأصول الفكرية العامة، والأصول الفكرية الخاصة بالتفسير، وأثرنا على منهجه الفكري المتكون من تسعة أمور، ثم أوردنا بعض النماذج من آرائه القرآنية، وتوصلنا إلى إثبات كون الشيخ الطهراني من كبار المفكرين القرآنيين في العصر الحاضر.

الكلمات المفتاحية: القرآن، المجدد، المعاصر، محمد، الصادقي الطهراني.

Abstract

The end of the last Hijri century witnessed a major intellectual development and Qur'anic transformation in the Islamic world between Sunnis and Shiites. Among the leaders of this movement in the Shiite world was the scholar Dr. Muhammad al-Sadiqi al-Tahrani, who was born, raised and nurtured at the table of the Qur'an. He devoted all his energies to his seminary and academic studies, focusing on his centrality, until he attained the level of high ijtihad in both. He left behind dozens of Quranic works, both small and large, for the Islamic world. He also tried to establish a Quranic renaissance in the seminaries. We discovered that His Eminence's intellectual origins consisted of four elements, and Quranic thought was rooted in his being based on general intellectual principles. The intellectual foundations of interpretation, and our influence on his intellectual approach, which consists of nine points, then we present some examples of his Quranic views, and we arrive at proving that Sheikh al-Tehrani is one of the most prominent Quranic thinkers of the present era.

Keywords: Quran, reformer, contemporary, Muhammad, al-Sadiqi al-Tehrani.

مقدمة البحث

حينما نتبع التاريخ الإسلامي نشاهد شخصيات علمية بارزة أولت عناية خاصة لكتاب الله تعالى في إحياء تعاليمه ، وتطويرها ونشرها والدفاع عنها بكل ما لها من قوة حتى صارت معروفة ومشهورة في دراسات القرآن ، ومن هذه الشخصيات الفذّة في الآونة الأخيرة العلامة الدكتور محمد الصادقي الطهراني، الذي أنفق حياته كلها للقرآن، فأنتج للعالم الإسلامي ذخائر علمية وفكرية قيمة ، هذه المقالة التي أمامنا تحاول التطرق إلى طرف من حياته العلمية والفكرية مع بيان منشأ الفكر وأصوله ومنهجه ثم الإشارة إلى نماذج من آرائه ونظرياته في المسائل المختلفة.

وتهدف الدراسةُ الكشفَ عن التجارب التي أورثها لنا هذا العالِم الرباني ؛ لنقتدي به في تطوير وتوسيع الفكر القرآني الصحيح وترسيخه في العالَم أجمع ، وتكمن منفعة الدراسة في محاولة إحياء البحوث القرآنية ، والعكوف عليها عن طريق التعرف على الشخصية الفكرية القرآنية ؛ ترغيبا على الصمود في نشر التعاليم الإلهية في أرجاء المعمورة والتعايش معها في حياتنا.

فقد تطرق إلى شخصية الشيخ الطهراني العلماء والباحثون القرآنيون الكبار مثل العلامة محمد هادي معرفة في التفسير والمفسرين حيث أشار إلى منهجه التفسيري، والدكتور السيد محمد على الأيازي في المفسرين حياتهم ومنهجهم، والأستاذ الدكتور حسين علوي مهر في آشنايى با تاريخ تفسير ومفسران (باللغة الفارسية)، كما أقيم ثلاث مؤتمرات في ١٣٩١ و ١٣٩٢ و١٣٩٤ الشمسي بقم المشرفة حول حياته العلمية، وكتب الباحثون الكُثُّر فيها المقالات العلمية القيمة، وإن كان أغلبها متمركزة على منهجه التفسيري والمسائل المطروحة فيه، كما كانت كلها مكتوبة بالفارسية ولا يستطيع العربي الاطلاع على آرائه القرآنية ، لكن هذه الدراسة علاوة على كونها باللغة العربية فإنّها تتمحور في الكشف عن منشأ الفكر وأصوله ومنهجيته العلمية بنحو آخر.

وسوف تجيب الدراسة عن الأسئلة التالية : من هو محمد الصادقي الطهراني؟ ما هي

مناشئ فكره القرآني؟ وعلى ماذا تتأصل؟ وما هي مكوناته المنهجية؟ وما هي نماذج من آرائه القرآنية ؟.

ونعتقد بكون الشيخ العلامة الطهراني من الشخصيات القرآنية المعاصر ذات أصول ومنهج علمي رصين ، وسوف نستفيد من المنهج النقلي المباشر من كتبه المعتمدة، والمنهج التحليلي في تبيين المطالب والمسائل المطروحة في البحث.

الأول: السيرة الذاتية

١) الأسرة

كانت أسرة آية الله العظمى محمد الصادقي الطهراني من الأسر المعروفة بالعلم والفضل، فقد كان والده من العلماء المعروفين والخطباء المشهورين والمبرزين في إيران آنذاك، وهو الشيخ رضا الصادقي الملقّب بـ(لسان المحققين أو لسان الواعظين)، وكان معارضا للنظام الطاغوتي في أيام البهلوي الأول، وبعد القبض عليه قامت الشرطة بتعذيبه بأشد أنواع العذاب التي أدت إلى استشهاده، وكان الابن آنذاك في ثلاثة عشر من عمره الشريف، وتركه الوالد يتيما في أحضان الأم الحنون[١] ، وقد بدأ بحفظ القرآن الكريم وتَعَلُّمه عند الوالدة العطوفة[٢] ، الأمر الذي يرشدنا على الاطلاع إلى كمالها وتوجهها إلى العلوم الدينية والتربية الإسلامية.

٢) الولادة والنشأة

ولد سماحة العلامة محمد الصادقي الطهراني بمدينة طهران عاصمة إيران السنة

(١) راجع: النظرة الجديد على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي الطهراني (١٤٣٢ هـ) ، الطبعة الأولى، السنة ١٣٩٣ش، مطبعة شكرانه، قم – إيران، ٢٠٣، وراجع أيضا: مجموعة مقالات المؤتمر الثالث للصحوة القرآنية في التاريخ المعاصر، الحسيني، رضا أمين، الطبعة الأولى، السنة ١٣٩٥ش، نشر شكرانه، قم – إيران، ٤٣٤.

(٢) راجع: جامع التفاسير، الإصدار الثاني، قسم معرفة المصادر، السيرة الذاتية للعلامة الطهراني.

١٣٦٤هـ الموافق بالسنة ١٩٢٧م[١]، و ١٣٠٥ش[٢]، فقد عاش مع والده لمدة ثلاثة عشرة سنة[٣]، وتربى على يديه قبل استشهاده على يد جلاوزة الطغاة من ملوك إيران السنة ١٣١٨ ش، وقبل إسدال حجاب الفراق بينهما أكمل الابن الصغير المرحلة الابتدائية ودخل الثانية المتوسطة[٤]

الثاني: النشاطات العلمية

١) الدراسة

إنّ دراسة العلوم الدينية والجامعية التي عكف العلامة الطهراني كل مجهوداته عليها حتى حقق أهدافه السامية في كلا المجالين وفي مدة حياته الشريفة يمكن تقسيمها إلى الدراسة الأكاديمية والعلوم الإسلامية كما يلي:

أولا: الأكاديمية

فقد بدأ بالدراسة من المرحلة الابتدائية في مدرسة تسمى مدرسة الإسلام وهو في الخامسة من عمره ، والتحق بالمدرسة الثانوية في شارع ري بمدرسة تسمى مدرسة بهلوي (وتسمى اليوم بمدرسة سمية)، وفي وشك إنهائه الثانوية بدأ الميل إلى الدراسة الحوزوية يشتد فيه شيئا فشيئا، وبعد الانتهاء التحق بالحوزة العلمية بشكل قوي ودائمي[٥] .

وبعد الدراسة المستمرة لمدة عشر سنوات ، والمشاركة في الدروس الحوزوية والوصول إلى درجة الاجتهاد بقم المشرفة عاد إلى طهران ، ومكث فيها أيضا عشر سنوات قائما بالدرس والتدريس في الجامعة والنشاطات الاجتماعية والسياسية ضد حكومة الشاه، واستغل هذه الفرصة فالتحق بالدراسة الجامعية وبدأ بالدروس في أربع تخصصات بمرحلة

(١) المفسرون حياتهم ومنهجهم، الإيازي، محمد علي، الطبعة الأولى، السنة ١٤١٤هـ، وزارة التربية والإرشاد، طهران، إيران، ٥٥١.
(٢) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٣.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٣٤.

البكالوريوس من دون اشتراط الجامعة له المشارك في الفصول، وإنّما يقدم الامتحان فقط: فالأول في الحقوق، والثاني في علوم التربية، والثالث في الفلسفة والرابع في الفقه، وبعد ثلاث سنوات من انتهائه هذه الأربعة حصل على درجة الدكتوراه العالية في الدراسات الإسلامية، كما درّس الفلسفة الإسلامية في الجامعة على أساس القرآن والسنة طبقا لكتابه (الخالق والمبدئ)[١]

ثانيا: الحوزوية

أمّا الدراسة الحوزوية فقد ابتدأ بها في عنفوان صباه وحياة والده ، وفي السنة الرابعة عشر من عمره علاوة على الاشتغال بالدراسة الأكاديمية كان يدرس في الحوزة العلمية بمدينته طهران والتي تسمى بمدرسة سپهسالاري، حيث أكمل كل الدروس المقدماتي في سنة واحدة مثل جامع المقدمات ، والسيوطى ، وحاشية الملاعبدالله على تهذيب المنطق ، والتفتازانى وغيرها من الدروس المعروفة في هذه المرحلة.[٢]

ويقول سماحته: "كان أول بداية دروسي الحوزوية في السنة ١٣١٨ والسنة ١٣٢٠ الشمسي، وقبل الذهاب إلى مدينة قم بثلاث سنوات تعرّفت على المرحوم آية الله العظمى الشيخ شاه آبادي واستأنست به، وهذا الأنس بالحضور في جلسات المعارف وتفسيره سبَّب دخولي في الحوزة، وكانت بحوثه وصلت إلى العمق والدقة والروحانية والمعنوية المؤثرة بحيث أحدث التحول العظيم فيَّ ، وكنت متتبعا ومشاركا في مجموع جلساته سنتين إلى ثلاث سنوات في بيته ومسجده، وكنت أكتب دروسه ومباحثه، وتارة أُرِيه تلك المكتوبات، الأمر الذي سبب إعجابه بذلك "[٣]، أي كان الإعجاب لصغر سنّه وقوة ذكائه.

والمحور الأصلي لدروس آية الله العظمى شاه آبادي هو القرآن في منظر العرفان والفلسفة، وفي جميع كلامه العرفاني والفلسفي والأخلاقي يرجع إلى آية مناسبة ويأتي بها،

(١) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، مصدر سابق، ٢٠٥.
(٢) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٣) جامع التفاسير، الإصدار الثاني، قسم معرفة المصادر، السيرة الذاتية للعلامة الطهراني.

بحيث كان هذا المنهج المتأصل على القرآن لأستاذه الكبير ترك أثرا كبيرا على روحه، ومن هنا جعل سماحته القرآن هو المرجع والمحور الأصلي في جميع حياته وأعماله.[١]

وبعد إكماله دروس المقدماتي كما سبق هاجر إلى قم المقدسة ، وكان ذلك في السنة ١٣٢٠ الشمسي، وبدأ بدروس السطوح هناك، فأكملها في مدة ثلاث سنوات، وعند ما انتقل آية الله العظمى البروجردي إلى مدينة قم في السنة ١٣٢٣ الشمسي بدأ بالمشاركة الفعّالة في دروس البحث الخارج حيث كان العلامة الطهراني منذ ذلك الحين يطرح آرائه في الفقه والأصول أمام الأستاذ ويناقشه فيها كما يناقش الأستاذ في نظرياته وآرائه أيضا [٢] .

وقالوا بأنّه بداية دخوله في قم المشرفة التحق بدروس الفلسفة وشرح المنظومة عند الإمام الخميني مع أصدقائه الشهيد المطهري والشيخ المنتظري من دون إعلان سابق للأستاذ [٣] ، وعلى رغم قلة سنه لكنه كان مستوعبا للدروس بأكملها، ومن هنا كان الإمام قدس سره يلقبه بـ (الشاه آبادي الصغير) [٤] .

وتتلمذ عند كبار العلماء وأعلامهم في القرن الماضي كما يقول بعبارته: في الحقيقة، الدروس التي درستها كانت عند أكثر علماء نصف القرن الأخير الآيات العظام: المرحوم السيد حجت، السيد أحمد الخوانساري، السيد محمد التقي الخوانساري، والأهم منهم هو السيد البروجردي و... وأكثر استفادتي القرآنية في قم كانت عند العلامة الطباطبائي وكنت أشارك في دروسه التفسيرية بمدة ثمان إلى تسع سنوات.[٥]

وقد درس اللغة العربية عند الشيخ محمد الحسين زاهد، والفقه عند الشيخ ميرزا باقر الآشتياني، والمنطق والعقيدة عند السيد صدر الدين الجزائري، والفلسفة والتجريد عند الشيخ ميرزا مهدي الآشتياني، والعرفان أيضا عند الشيخ الميرزا أحمد الآشتياني وغيرهم؛

(١) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٣٤.
(٢) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، مصدر سابق، ٢٠٣-٢٠٤.
(٣) جامع التفاسير، الإصدار الثاني، قسم معرفة المصادر، السيرة الذاتية للعلامة الطهراني.
(٤) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، مصدر سابق، ٤٣٥.
(٥) جامع التفاسير، الإصدار الثاني، قسم معرفة المصادر، السيرة الذاتية للعلامة الطهراني.

لكنه كان على غاية الحذر من التخلي عن المنهج القرآني، ولذا راقب نفسه بحيث جعل كل هذه العلوم على هامش التعليمات والمعارف القرآنية ، وكان معتقدًا بأنّ الفلسفة تجعل المغز خاوية عن محورية القرآن وتجذب الإنسان إلى نفسها من دون إحساس وشعور.[١]

ومع كل ذلك يقول سماحته: لكن المحور الأصلي في تحول فكري هي تلك الحركة العلمية الأولية عند المرجوم آية الله العظمى الشاه آبادي التي بدأت منها حركتي القرآنية وإلى الآن هي مستمرة، وجميع تحصيلاتي وكل مؤلفاتي كانت تحت تأثيرها وما زالت كذلك، وبعده كان للعلامة الطباطبائي الدور الكبير في تَطَوُّرِي التفسيري والعرفاني والفلسفي والأخلاقي.[٢]

٢) التدريس

إنّ سماحة العلامة الطهراني كان مشتغلا بالتدريس والبحث والتحقيق، وكانت كل دروسه متمركزة على مبناه وأساسه القرآني، فقد سبق بأنّه قام بتدريس الفلسفة الإسلامية في الجامعة على محورية القرآن الكريم والسنة القطعية المتواترة [٣] ، وبعد عودته من قم المشرفة إلى طهران علاوة على التدريس في الحوزة والجامعة كانت له جلسات علمية وسياسية على أساس التعاليم القرآنية في سبع مناطق فيها، وكان أكثر المشاركين هم الطلبة الجامعيين وعلمائها والمفكرين[٤] ، وقد كلفه آية الله العظمى البروجردي بالتدريس في الجامعة أيضا[٥]، كما كانت له محاضرات في المساجد والحسينيات كذلك.

وبسبب سعة نشاطاته السياسية وانتشار محاضراته في المجتمع وتأثيرها على الناس أصدرت حكومة الشاه إدانته بالحكم بالإعدام، فخرج من البلد خفية قاصدا إلى الحج في مكة المكرمة، واستمر بالتدريس والخطابات المحركة ضد حكومة الطاغوت الإيرانية، فأدى

(١) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، مصدر سابق، الحسيني، رضا أمين، ٤٣٤.
(٢) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٤.
(٣) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، مصدر سابق، الحسيني، رضا أمين، ٤٣٦.
(٤) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٥. وكذا في مجموعة المقالات للمؤتمر، ٤٣٧.
(٥) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٣٦.

ذلك إلى القبض عليه من قبل الحكومة السعودية وسجنه، لكن بتدخّل العلماء في القضية أطلقوا سراحه، وعاد إلى العراق وبقي هناك يدرس التفسير والدروس الحوزوية الأخرى على أساس القرآن الكريم لمدة عشر سنوات، وعند ما أخرجت الحكومةُ العراقيةُ الإيرانيين من البلد هاجر إلى لبنان وبقي يدرس ويلقي المحاضرات الإجتماعية والسياسية المؤثرة لمدة خمس سنوات ، كما كانت له مناظرات مع علماء السنة والأديان الأخرى، ثم بعد ذلك انتقل إلى الحجاز مرة ثانية، وبالتحديد مكة المعززة، وجعل كرسيا للتدريس ونشر ثورته القرآنية في الحرم المكي وبقي هناك سنتين، فقبضت الحكومة عليه مرة ثانية بمدة أسبوعين لهذه النشاطات العلمية، وبعد إطلاق سراحه عاد إلى لبنان مرة ثانية، ثم إلى مدينة باريس الفرنسية قاصدًا لقاء زعيم الثورة الإسلامية الإمام الخميني هناك مع إلقاء المحاضرارت في الجامعات والمراكز الثقافية، وبانتصار الثورة عاد إلى إيران بعد مفراقة الوطن بمدة تستغرق سبعة عشرة عاما [1] .

ففي طوال هذه السنوات المتمادية كان ناشطا فعالا في نهضته القرآنية ، مشتغلا بالتدريس والتأليف والجلسات العلمية والمحاضرات العامة ، متمركزا على التأصيل والتأسيس في هذا المجال حتى عاد إلى وطنه بعد انتصار الثورة الإسلامية، وتخلى عن الدخول في المسئوليات الحكومية، وبقي في قم المشرفة عاكفا على وظيفته التي كان يحسّ بها في نفسه ، فقد أسس الحركتين: العلمية والسياسية في حوزتي قم والنجف على أساس القرآن الكريم، وإذا تكلم لمدة تستغرق ساعة واحدة كان يستند إلى ما لا يقل عن خمسين آية قرآنية، وكان يشارك في تفسيره أكثر من سبعمائة طالبا عند سكنه في النجف الأشرف، وكان يدرسهم باللغتين الفارسية والعربية [2].

إنّ شروعه بتأليف تفسيره الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة كان عبرالتدريس، وقد ابتدأه بالجزء الثلاثين من السور القصار رويدًا رويدًا حتى أكمل الاجزاء الاخرى التي

(١) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٦-٢٠٨.
(٢) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٣٨-٤٣٩.

ألقاها على طلاب العلوم الدينية في الحوزتين – قم قبل خروجه منها وبعد العودة وكذا النجف الأشرف عند اقامته فيها– مع زيادات و تنقيحات لفظية ومعنوية [١] .

وفي السنة ١٣٦٧ الشمسية بعد انتصار الثورة وإقامته في قم المشرفة مدة عشر سنوات، أكمل خمس وعشرين جزءًا من تفسيره المشهور عن طريق التدريس باللغة العربية والفارسية، فصار ثلاثين مجلدا، وقد حاول تبيين جميع نظرياته القرآنية فيه، وفي كل آية خالف الرأي السائد في الفقه والأصول وغيرهما يركز عليها بالتوضيح والتبيين بالأدلة القوية حسب نظره [٢] .

وبعد مطالعة العلامة الطباطبائي الأجزاء الأولية من تفسيره الفرقان أوصاه بعدم الخوض في تأليف كتاب آخر قبل إتمامه، وقد أجرى عمله طبقا لهذه الوصية، وإن كان قبل الشروع بتأليفه قد كَتَب مؤلفات عديدة ، كما ألّف كتبا كثيرة بعده من ترجمة القرآن والتفسير والفلسفة والفقه والأصول والتاريخ والأخلاق وغيرها والتي تصل اليوم إلى ١١٣ كتابا بين مطبوع ومخطوط وقد طبّع أكثرها ونشر في العالم الإسلامي كما ترجم بعضها بلغات العالم المختلفة[٣] .

فقد أثنى على كتبه كثير من العلماء الأعلام في العالم الإسلامي ومن أبرزهم : سماحة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي، والإمام الخميني [٤] ، والعلامة الطباطبائي وغيرهم من العلماء في لبنان والسعودية / بحيث وصل الأمر إلى مرحلة المنع عن التعرض إلى الشيعة والتشيع عند ما كان في مكة المكرمة ، وإجازة نصب كرسي التدريس له في الحرم المكي آنذاك [٥] .

(١) راجع: المفسرون حياتهم ومنهجهم، الأيازي، مصدر سابق، ٥٥٣.
(٢) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٤١.
(٣) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٩.
(٤) المصدر نفسه ، ٢١٠.
(٥) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٤٠.

٣) المؤلفات

وأمّا الكتب والتأليفات فقد صرح سماحته بأنّه كتب ما وصل إلى مائة وثلاثة عشر كتابا بين مطول ومتوسط وقصير في العلوم الإسلامية المختلفة[١] ، مثل التفسير ، والفقه والأصول، والفلسفة والتاريخ ، والأخلاق وغيرها، وأكثر مؤلفاته في هذه التخصصات كانت متأصلة على مبناه ومنهجه القرآني. ومن أبرزها ما يلي:

١- ترجمة القرآن الكريم باللغة الفارسية. ٢- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة في ثلاثين مجلدا. ٣- التفسير الموضوعي للفرقان في ثلاثين مجلدا أيضا. ٤- البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، وهو تفسير مختصر في مجلد واحد. ٥- رسول الإسلام في الكتب السماوية، وهو حول البشارة ببعثة نبي الإسلام في مجلد. ٦- علي والحاكمون في خلافة وإمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام في مجلد. ٧- عقائدنا، مناظرة بين الأديان في ٥١٨ صفحة. ٨- الكواكب فى نظر القرآن، في ٣١٣ صفحة. ٩- المقارنات بين الكتب السماوية في ٣٦٢صفحة. ١٠- تبصرة الوسيلة في هامش على وسلية النجاة لأبي الحسن الإصفهاني، في ٦١٥ صفحة. ١١- تفسير سورة الحمد (الفاتحة) في ١٤٣ صفحة. ١٢- تبصرة الفقهاء بين الكتاب والسنة على تبصرة المتعلمين للعلامة الحلي، وهو فقه على أساس القرآن والسنة في مجلدين. ١٣- مقارنات فقهية بين الفقه القرآني والفقه التقليدي، في ٤٧ صفحة. ١٤- حوار بين أهل الجنة و النار في ٦٢ صفحة. ١٥- على شاطىء الجمعة في ١١٦ صفحة. ١٦- الحافظون لحدود الله، في وظائف حراس الدولة الإسلامية في ٧٧ صفحة. ١٧- النظرة الجديد في حقوق المرأة في الإسلام، في ٢٢٣ صفحة. ١٨- السؤال والجواب حول القضاء في الإسلام على أساس القرآن، في ١٠٣ صفحة. ١٩- حوار بين الإلهيين و الماديين في ٣٦٩ صفحة.

٤) المكانة العلمية

إن العلماء الأعلام والمراجع العظام في الحوزات العلمية بقم المعززة والنجف الأشرف،

(١) مجموعة مقالات المؤتمر الثالث، الحسيني، رضا أمين، مصدر سابق، ٤٤٠.

لما شاهدوا الكتب وتأليفاته المُحْكَمة على منهج علمي رصين، ومناقشاته العلمية معهم في المسائل المختلفة وإشكالاته القوية على كثير من المسائل الفقهية والأصولية، ونشاطاته الواسعة المفيدة في ساحة العلم، وفي النهاية أعطوه درجة الإجتهاد العالي في جميع العلوم الإسلامية مع اختلافاته معهم، والاعتراف بصحة نظراته التفسيرية، والاعتقادية، والعرفانية، والفقهية، والأصولية؛ لِما رأوا فيه من القدرة العلمية والأدلة القوية في إثبات آرائه ونظراته [١] .

٥) الوفاة

وتوفي رحمة الله عليه في قم المشرفة السنة ١٤٣٢هـ و١/ ٠١/ ١٣٩٠ش، وصلى على جنازته أحد طلابه، ودفن بمقبرة باغ بهشت في مدينة قم يوم الثالث من وفاته ووصفه الإمام الخامنئي بالعالم المتفكر، وهو من المراجع المعتبرة والمسلّم لهم بسعة العلم والمعرفة في العالم الإسلامي.[٢]

الثالث: منشأ الفكر القرآني

إنّ مسألة العلة والمعلول أو السبب والمسبب من القواعد العقلية المسلمة، ولا يمكن العثور على شيء ليس له منشأ وسبب، فكل التقدم والتأخر الحاصل في جميع حقول حياتنا له علل وأسباب ثابة ولو لم نعرف بها ، وعلى هذا الأساس نقول: مما ذكرنا في السطور السابقة يمكن أن نلخّص منه مناشئ البناء الفكري القرآني الذي أوصل العلامة الطهراني إلى انتاجات علمية وخدمات مشكورة في أربعة أمور أساسية:

المنشأ الأول: تحفيظه القرآن بتدريس الأم المؤمنة التي كانت تعلّمه الآيات المحكمة منذ صباه، فإن التعليم والحفظ في الصغر وُصِف في بعض الروايات بأنّه كالنقش على الحجر، كما ورد عن أمير المومنين علي عليه السلام بأنّه قال: ((الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ))[٣]،

(١) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، مصدر سابق، ٢٠٩.

(٢) ويكي شيعة، محمد صادقي طهراني، الوفاة. وسايت: مشرق: تاريخ النشر: ١٠/ ٠١/ ١٣٩٤ – ٢٣:٤٤، عنوان: فقيه قرآني معاصر چه كسى بود؟

(٣) كنز الفوائد، محمد بن على(٤٤٩هـ)، تحقيق عبد الله نعمة، الكبعة الأولى، السنة ١٤١٠هـ، دار الذخائر، قم – إيران ، ١/ ٣١٩.

فهو من المؤثرات في مستقبل الطفل من توفيقاته أو عكسها ، فقد أوصانا نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل عنه بأنّه قال: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وتلاوة القرآن ..."،[1] فهذا التدريس للقرآن والترغيب فيه من الأم كان من المؤثرات ، والبني التحتية للفكر القرآني عند سماحة العلامة الطهراني.

المنشأ الثاني: الأستاذ الأول آية الله العظمى الشاه آبادي الذي قال سماحته في حقه: المحور الأصلي في تَحَوُّلِ فكرِي هي تلك الحركة العلمية الأولية عند المرحوم آية الله العظمى الشاه آبادي التي بدأتُ منها حركتي القرآنية وإلى الآن هي مستمرة، وجميع تحصيلاتي وكل مؤلفاتي كانت تحت تأثيرها وما زالت كذلك[2] . إذن فالمنشأ الثاني المؤثر عليه هو ذاك الأستاذ الذي تربّى على يديه العلماء الأعلام، ومنهم الإمام الخميني (ره) نفسه.

المنشأ الثالث: المفسر العصري الجامع، أي العلامة محمد الحسين الطباطبائي صاحب الدور الكبير في تطوره التفسيري بعد هجرته إلى قم المشرفة بحيث وُصِف العلاقة بينهما في (موقع خبرگزارى بين المللى قرآن) بأنّه الوارث الحقيقي للعلامة في التفسير ، كما ورثه العلامة الجوادي الآملي في الفلسفة ، والعلامة حسن زاده آملي في العرفان [3] ، ومما قاله الشيخ الطهراني في شأن أستاذه المفسر الثاني بعد تبيين دور الميرزا الشاه آبادي مقولته : وبعده كان للعلامة الطباطبائي الدور الكبير في تطوُّري التفسيري والعرفاني والفلسفي والأخلاقي [4] .

وعند ما وصل الجزئين الأولين من تفسيره الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن إلى أستاذه الطباطبائي فرح جدًّا وشكر هذه النعمة الكبير له حيث شاهد نتيجة تربيته بقوله: إنّ تفسير "الفرقان" الشريف الذي زرته، إنّه لكتاب يقرّ عيوننا، وهو سند عزنا وأصل من مفاخرنا-

(١) الجامع الصغير، السيوطي، عبد الرحمن بن أأبي بكر (٩١٠هـ)
(٢) راجع صفحات سابقة في المقالة نفسها
(٣) راجع: المقال الموقع، تحت عنوان: ضلع سوم از شاگردان علامه طباطبائى كيست؟ رقم الخبر: ٣٤٨٤٢٥٥، التاريخ ٠١/ ٠١/ ١٣٩٥.
(٤) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٠٩.

نحن المفسرين- إن شاء الله تعالى، تكرس كافة طاقاتك وإمكانياتك وتبذل جميع مساعيك في مواصلة هذا الأسلوب الفريد من التفسير- أعني: تفسير القرآن بالقرآن- فلا تملّ ولا تكسل ولا تفشل في هذا المشروع العظيم، خدمة للمعارف القرآنية، وكشفا للقناع عن ذخائر هذا الكتاب المكنون السماوي، وأرجو من الله عز اسمه لكم التوفيق، وأن يؤيد سماحتكم في هذه السبيل [1].

المنشأ الرابع: الذكاء والرغبة، فإنّه علاوة على المناشئ المتقدمة يمكن أن نكتشف الميل والرغبة منه عن طريق الكتب والمؤلفات الصادرة، كما نشاهد الموهبة والذكاء اللّتَيْن وصلتا إلى أقصى حدّ، والشوق الشديد من المشاركين في دروسه، وكذا مناقشاته ومناظراته كبار العلماء والمراجع العظام في المسائل الدينية المختلفة، بحيث وصلت قوة استدلالاته إلى إقناع كثير منهم برأيه في مسائل علمية متعددة من الفقه والأصول والتفسير وغيرها من العلوم الأخرى [2].

الرابع: الأصول الفكرية

إنّ الأسس والمباني التي تأصلت عليها نظريات العلامة الطهراني، وآرائه العلمية يمكن تقسيمها إلى قسمين: الأصول الفكرية العامة والإصول الفكرية الخاصة، فالأول يشمل كل آرائه ونظرياته في العلوم الإسلامية كالتفسير، والعقيدة والفقه، والأخلاق وغير ذلك، والثاني يختص بآرائه ونظراته التفسيرية.

القسم الأول: الأصول الفكرية العامة

والمقصود بالأصول العامة هنا عبارة عن الأسس التي اعتمد عليها سماحته في جميع أفكاره ونظرياته العلمية سواء في العقيدة والتفسير، أو الفقه والأصول، أوالأخلاق والفلسفة، أو غير ذلك، وتنضم في طياتها ثلاثة أصول: أصالة الإستقلال الفكري، أصالة محورية القرآن، أصالة المتن لا السند في الروايات، وهذه الثلاثة سوف نقوم ببيان استدلالاته

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، الصادقي الطهراني، ١ / ٨.
(٢) راجع مباحث السابقة في المقال نفسها.

عليها عبر نصوصه وبياناته المباشرة.

أولا: أصالة الإستقلال الفكري

إن سماحة العلامة الصادقي الطهراني يعتقد بأنّ الإنسان الذي يريد الكمال العلمي والوصول إلى الحقائق في العلوم والمعارف الإسلامية لا بد له من الاستقلال الفكري والنظرات الثاقبة عبر الرجوع إلى الأدلة الصحيحة المعتبرة التي يستند إليها، بحيث يمكن له اكتشاف الحقائق التي كانت خافية على بعض المحققين والمدققين لأنّه كثيرا ما ترك السابق أمورا أخرى للاحق[1] والوصول إلى مثل هذه المدارج يحتاج إلى استقلال الرأي والحرية الفكرية، ولا يحصل بالتقليد والتبعية المطلقة العمياء للآخرين.

وفي سبب اختلافاته مع علماء السنة والشيعة في بعض المسائل المتفق عليها بين المدرستين، أو المسائل التي تفردت بها الواحدة منهما يقول: قليل جدًّا تجد نكتة مغفولا عنها ، أو خطأ بارزا في تفسير آية ما بين الشيعة والسنة إلّا وقد أشرت إليها – في تفسيره إياها–، وتجد في الفقه أيضا كثيرا من الآراء المشهورة بين علماء الشيعة والسنة ، وتارة آراء الطرفين خالفتُهم، حيث أَلَّفتُ في كتاب (تبصرة الفقهاء) أكثر من خمسمائة فتوى على مبنى القرآن والسنة والتي خالفت آراء مشهورة؛ وأساس هذا الإختلاف الوسيع في جميع العلوم الإسلامية هو الحرية الفكرية والتدبر من دون حمل رأي مسبق على القرآن المبين؛ لذا لو يراجع علماء الإسلام القرآن فسوف تقل كثير من الاختلافات الموجودة بينهم حتى لو كانت مثل هذه الفتاوى على الإجماع والروايات [2] .

إذن، فمن الأصول الجذرية لسماحته في البحث العلمي واستنباط النظريات والمسائل المختلفة هي الحرية الفكرية والتدبر المستقل، فهو معتقد بأنّ الإنسان العالم ، أو الطالب لا بد وأن يكون حرًّا مستقلا في أفكاره حتى يستطيع أن يكون منتجا علميا.

(١) انظر هامش: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة، الصادقى الطهرانى، محمد(١٤٣٢هـ)، الطبعة الثانية، طهران ، ٢٧ / ١٢٩

(٢) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢١٠.

ثانيا: أصالة مرجعية القرآن

إنّ القرآن الكريم هو منشأ كل العلوم وأساس كل النظريات الصحيحة في الإسلام، ولا يمكن لعالم ديني عبورٌ عنه والذهاب إلى غيره مع الإلتفات، ومن الأخطاء الفادحة التي ارتكبها علماء الإسلام من الشيعة والسنة الانشغال بغير القرآن من الأحاديث واللغة والفلسفة والأصول وغيرها من العلوم التي لم تكن متأصلة على النص والمتن القرآن، وعليه يجب على جميع المسلمين الرجوع اليوم إليه بحيث يجعلونه منبعا ومرجعا أصيلا وغيره يصير فرعا عليه لا العكس الذي يجري حاليا على الأرض الواقع.

ويقول في هذه المسألة : فالأصل في كل شارد و وارد هو القرآن، يردّ اليه غير الضروري من الدين، ليعرف به المارد عن الوارد، ويميّز به الغث عن السمين والخائن عن الأمين [١] .

وأورد الآية الكريمة "واتلُ ما اوحى اليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه مُلتحداً "[٢] ، ثم قال: على أساس هذه الآية المباركة، إنّ المسلمين أيضا باتباع النبي صلى الله عليه وآله للوحي الإلهي ليس لهم أي مرجع وملجأ غير القرآن الكريم الذي لو يوجد حديث متواتر مخالف للنص، أو الظاهر القرآني المستقر فسوف يكون مردودا، حتى لو كان حكما إسلاميا ضروريا فله حاجة إلى الأصل القرآني، إلّا إذا لم يكن فيه آية قرآنية نافية أو مثبتة له [٣].

واستدل بالرواية التالية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: "إنّ هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله ، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على سواه هداه الله ، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوّله الذي ينتهي اليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، الصادقي الطهراني، مصدر سابق، ١/ ١٦ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٧ .
(٣) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢١٢ .

السليم" [١] .

وفي مفاد روايات العرض المستفيضة عن المعصومين عليهم السلام فضلًا عن حديث الثقلين المتواتر في إثبات هذا المبني والأصل يقول: وأحاديث العرض والثقلين تحملنا على الرجوع اليه كأصل، وكيف نراجع مالا حجة في ظاهره، وكيف نعرض على ما لا يفهم شيء من ظاهره؟[٢]

وبعد سرد الأمثلة والمناقشات مما يعتقد بمخالفته رأي القرآن الكريم من الفتاوى والنظريات في العلوم الإسلامية استنتج قائلا: وفي النهاية ، مع غض النظر عن هذه المباحثات والمناظرات ، لو يُجعل القرآن هو المحور الأصلي في العلوم الإسلامية فإن كثيرا من النظريات الحوزوية ستكون مخدوشة، وهذا إشكال كبير على العلوم الإسلامية التي أساسها ليست قرآنية ، أو هي على التضاد مع القرآن [٣] .

فالأصل الذي لا يجوز الرجوع إلى غيره قبله هو القرآن الكريم، وهو المصدر والمنبع الأصلي للنظريات والأحكام والآراء في الدين الإسلامي، ولا يجوز التخلي عنه إلى غيره أو مراجعة ما سواه قبله، وكل ما خالفه فهو ليس بمعتبر ولا يلتفت إليه. وعلى هذا المبنى أَصَّلَ كل نظرياته وآرائه التفسيرية والفقهية والأصولية والفلسفية والأخلاقية ونحوها.

ثالثا: أصالة المتون الروائية

إنّ سماحة العلامة الطهراني لا يعتقد بأصالة السند في الروايات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ذهب إليه كثير من علماء أهل السنة ، حيث يركزون على صحة السند بنحو أكثر من التوكيد على متنها وينسبونها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولو خالف القرآن الكريم متنها صريحًا ، أو ظاهرًا، مثل نسبة الشرك والدخول في النار لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو زعم الشرك والموت لأبي طالب عليه السلام

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، الصادقي الطهراني، مصدر سابق، ١ / ١٢.
(٢) المصدر نفسه، ٢٥.
(٣) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢٢١.

الذي أمضى كل حياته دفاعًا عن الرسول ودينه السليم[١]، وغير ذلك من المسائل الأخرى التي يتعجب الإنسان العاقل منها ، وكذلك ما نراه من تأكيد بعض علماء الشيعة على صحة السند واعتماده في القرون المتأخرة، وخاصة عصر الإخباريين الذين اعتمادهم كان متوقفا على النصوص الروائية فقط لا القرآن وآياته المباشرة الموصوفة بالنور[٢]، والهداية[٣]، والبرهان[٤]، وأنّه بيان للناس[٥] وتبيان لكل شيء[٦]، ومبين[٧] وغير ذلك من الموصفات الأخرى.

فقد كان سماحته يعتقد بأنّ الأصالة في السنة والروايات تعلق بالمتن أولا وآخرًا، وأمَّا دور السند الصحيح المعتبر عنده هو دور المؤيد والمؤكد فقط ، وحتى المتن أيضا أصالته راجعة إلى موافقته للقرآن ، أو على الأقل عدم مخالفته إياه قال: والأصل في صحة المتن موافقته لكتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ الثابتة، ولا دور للسند الا صحة الاسناد الى المسند اليه إذا كان المتن صحيحا، فصحة السند لا تصحح المتن، وإنّما هي من أسباب صحة النسبة على هامش صحة المتن.[٨]

ويقول في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ ﴾[٩]: "فلا يصدّق

(١) رجع تفسير الآية الكريمة: ﴿ ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ جاء في تفسير الطبري روايات، ومنها: ما ورد بسنده عن سعيد بن المسيب قال: لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم، وعند عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث. وفي رواية أخرى بسنده عن ابن عباس، قوله: ﴿ ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا إلى: أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ ﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه، فنهاه الله عن ذلك.... الحديث. راجع: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ١١ / ٣٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾. سورة النساء ، الآية : ١٧٤

(٣) قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ ﴾. سورة البقرة ، الآية : ١٨٥.

(٤) قوله تعالى: ﴿ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾. سورة النساء ، الآية : ١٧٥.

(٥) قوله تعالى: ﴿ هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. سورة آل عمران ، الآية : ١٣٨

(٦) قوله تعالى: ﴿ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾. سورة النحل: ٨٩.

(٧) قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ ﴾. سورة يوسف ، الآية : ٢.

(٨) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، ١ / ٢٢ (حاشية).

(٩) سورة الأنعام ، الآية : ٥٠.

على الرسول ما يكذبه القرآن وإن صحّ أسناده، وقد يصدّق عليه ما يصدقه القرآن وإن ضعف أسناده، فلا يسند الحديث صحيحا إلّا متنه الموافق للقرآن دون سنده، ولا نحتاج إلى صحة السند في متن صحيح إلا لاتقان النسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ المتن الصحيح لا يختص بالرسول، ثم لا تفيدنا صحة السند في متن لا يلائم القرآن، فإنّ الباطل لا يصدر عن الرسول ﷺ" ، ثم استدل بروايات العرض على القرآن المتواترة على حد قوله، ومنها من نقل عنه عليه الصلاة والسلام: " لقد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوء مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به" أو في رواية أخرى: "ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله"[1]

وأضاف قائلا: لا يفرق في هذا العرض حديث البرّ عن الفاجر كما في الصادقي عليه السلام: "ما جاءك في رواية من برّ أو فاجر يوافق القرآن فخذوا به وما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به" [2] .

إذن؛ فالأصل في اعتبار متن الروايات والسنة المنقولة – بغض النظر عن تبعية السنة للقرآن وأنّها عبارة عن ظله – هو صحة المتن ومطابقته للمحتوى القرآني، أو عدم مخالفتها إياه، فهذه الأصول الثلاثة هي البنى التحتية لجميع آرائه في العلوم والمباحث الدينية المتخيمة على حقول الحياة البشرية بأجمعها .

القسم الثاني: الأصول الفكرية الخاصة

إنّ هذا القسم من الأصول يتفرع من السابقة ويختص بالقرآن وآرائه ونظرياته فيه، أي على ماذا تعتمد آراءه التفسيرية وما هو المرجع والمنشأ لها علاوة على الأصول الثلاثة السابقة؟ نعم هناك أصول مرتبطة بتفسير القرآن الكريم والتي اعتمد عليها كأسس في

(١) الفرقان، الصادقي الطهراني، مصدر سابق، ١ / ٢١.
(٢) المصدر السابق نفسه، ٢٢.

الشرح والتوضيح للآيات المتعلقة بها، ونود الإشارة هنا إلى بعضها ونترك التفصيل في مناسبات أخرى: أصالة وحدة القراءة القرآنية، أصالة الوحيّ في الترتيب، أصالة عدم النسخ، أصالة استقلالية المعاني عن أسباب النزول، أصالة مراتبية المفاهيم القرآنية باعتبار الظاهر والبطن ، فهذا القسم يحاول تبيينها ولو مختصرا.

أولا: أصالة وحدة القراءة القرآنية

وأمّا أصل وحدة القراءة القرآنية فقد تطرق إليه عند مناقشته لتاريخ النزول وأقسامه فأشار إلى هذا الأصل، وهي القراءة الواحدة، المنقولة إلينا كابرا عن كابر عن طريق التواتر مع متن القرآن ونصوصه ، ولم ينفصل واحد منهما عن الآخر ولو طرفة عين، ولا يعتقد أبدا بتعدد القراءات، لاسيما إذا أدى ذلك إلى تعدد المعنى العرضية فيها.

وبعد تتمة البيان في نوع جمع القرآن الذي قام به الصحابة بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم قال: وأجمعوا على قراءة واحدة هي المتواترة عن النبي ﷺ فرضيها المسلمون أجمع، ولكي يبقى القرآن وحيا خالصا حتى في قراءته فلا يبقى مجال للاختلاف فيه ؛ لذلك فنحن المسلمين لا نعتمد على سائر القراءات المخالفة للمتواتر المسجل في القرآن، لا سيما إذا سببت اختلاف المعنى [1] .

وفي مناقشته لروايات قراءة الآية الثالثة من سورة الفاتحة وإلغاء اعتباريتها قال: إنّه دون ريب "مالك" في كتب القرآن تواترا دون خلاف، وهل يصح "ملك" كما صح "مالك"؟ فيه روايتان عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متهافتتان، فإنهما متفقتان في "كان يقرأ" مختلفتان في "مالك" و"ملك"، فالاستمرارية المستفادة من "كان يقرأ مالك" تنفي "ملك" كما المستفادة من "كان يقرأ ملك" تمنع "مالك"... والقول بالتخيير بين "مالك و ملك" لا يلائم الروايتين ولا القراءتين، وهو مخالف للقرآن... وكيف يترك القرآن المتواتر برواية غير متواترة، ولا يترك حتى بمتواترة، اللهم إلا تواترا يوازي القرآن في التخيير بين القراءتين [2]

(١) الفرقان، الصادقي الطهراني، مصدر سابق، ٢٩ / ٢٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ١ / ٩٨-٩٩.

وعلى كل حال فالقرآن الحالي والقراءة المنقولة مع نصوصه قطعية الصدور في اللفظ والمعنى ، ولا يمكن إلغائهما واللجوء إلى غيرهما ليقوم مقامهما ، ولو وصل ذلك الغير إلى مرحلة التواتر لمخالفته الأصل القرآني والقراءة الملصقة معه منذ نزوله على قلب النبي ﷺ وإيصاله إلينا جيلا عن جيل وإلى قيام الناس يوم يبعثون.

ثانيا: أصالة الترتيب في السور والآيات عن طريق الوحي

إنّ ترتيب الحروف في الكلمات، وترتيب الكلمات في الجمل، وترتيب الجمل في الآيات، وترتيب الآيات في السور، والأخير في جميع القرآن كان بالوحي الإلهي للنبي t، ثم أمر كتاب الوحي في جمعهم الأول عند النزول، وخلاف ذلك غير صحيح، بل قد يؤدي إلى القول بالنقص في القرآن الكريم، وهو ما يرفضه سماحة العلامة الطهراني جملة وتفصيلا [1] .

وفي بيان العلاقة بين صدر الآية وذيلها في الآية الأولى من سورة المائد قال: قد يُظَنّ هناك كما في أشباهه ألّا رباط بين جملتي الآية "أوفوا .. أحلت .." فترتيب تأليف القرآن- إذن - ليس بالوحي ، و لكن كون ترتيب التأليف بالوحي كما التنزيل ضرورة لا حول عنها، حيث المعاني المستفادة من ترتيب التأليف ليست مستفادة من ترتيب التنزيل ولا التأليف بغير الوحي، فلأن القرآن هو آخر كتاب سماوي وسائر كتب السماء محرفة عن جمات أشراعها، فالمفروض في هذا الوحي الأخير أن يكون وحيا في كافة جنباته، ومنها ترتيب التأليف ، فلو أهمل في ترتيب التأليف لكان ذلك إهمالا في معاني مقصودة من ترتيب الوحي الذي يحلق على كل المعاني المقصودة بخاصة الترتيب... ثم "إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ" يحصر جمع القرآن وهو تأليفه بعد شتات تنزيله، يحصره في الله تعالى، فهل أوحى إلى غير نبيه معه ، أو بعده بذلك التأليف الأليف؟ و الوحي منحصر فيه! إذن فهذا القرآن هو كلّه وحي في كيانه ككل ومنه ترتيبه الخاص الحاضر [2] .

واستمر في الاستدلال بالمنطق العقلي على إثبات ذلك في مكان آخر مع إلغاء اعتبار أي

(١) الفرقان، الصادقي الطهراني، مصدر سابق ، ٢٩ / ٢٨٤.
(٢) المصدر نفسه ، ٨ / ١٢.

رواية متناقضة في كتب الحديث والتاريخ ، بقوله: إنّ القرآن كما هو الآن كله إلهي من معانيه وألفاظه وترتيب آياته وقراءته وسوره وأسمائها ازدواجية الوحي دون تدخل لغير الله في أيّ من هذه، ولا من الرسول نفسه إلا بالوحي [١] .

فهذا الأصل من الأسس المفيدة جدًّا عند سماحته في الكشف واستنباط المعاني من القرآن، وله تأثير على باحثي الحقيقة حيث قال: فلا بد لمعرفة رباطات الآيات من كامل التدبر ولائقه بالذكر الحكيم، فإذا لم تعرفها تقول: لا نعلم ، وهناك معاني عالية مستفادة من ذلك الترتيب العظيم، وقضية ربانية الدعوة أن يكون تأليف كتاب الدعوة بنسق جمعي يجذب الناظر إليه في كل مجموعة يسيرة من آياته [٢] .

ثالثا: أصالة عدم النسخ

يعتقد العلامة الطهراني بأنّ القرآن ناسخ لسواه، وليس منسوخا بسواه قبله أو معه، أو بعده، وإن كان فيه بعض التناسخ لنفسه في أحكام مؤقتة امتحانية كحكم النجوى والزنا وعدد الكفاح في قتال الكفار، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾، موضحا بقوله: لأنّ الحكم الناسخ يبطل الحكم المنسوخ، فعزة القرآن وغلبته تجعله بحيث لا يُبطَل ولا يُنسَخ جملة أو تفصيلا، كلا أو بعضا " مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ " من كتابات السماء حيث تؤيده ولا تبطله، " وَلا مِنْ خَلْفِهِ " حاضرا لديه كوحي السنة، أو آتيا بعده كفتاوى الخلفاء والأئمة، فلو أنّ حكما من الأحكام زمن الوحي أو بعده ينسخ حكما من أحكامه فقد أتاه الباطل الذي يبطله ويحوّله [٣]، فهذا القول في ظاهره مبني على أصالة عدم النسخ؛ ولذا قال بأنّ ما حدث منه في بعض الآيات إنّما وقع للامتحان والابتلاء فقط هذا فيما يتعلق بالنسخ عبر الآيات الأخرى.

وأمّا فيما يعود إلى إمكان النسخ بالسنّة يقول في فقرة أخرى: ولأنّ القرآن هو الوحي الأصيل الخالد حجة على العالمين لم يكن الله ليوحي إلى رسوله وحيا في سنة تنسخ وحي

(١) راجع: المصدر نفسه ، ٢٩ / ٢٨١-٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه ، ٨ / ١٢.
(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، الصادقي الطهراني ، ١ / ٣٩.

القرآن، فالأحاديث التي تتحدث عن نسخ الكتاب بالسنة تضرب عرض الحائط ؛ لأنّها تخالف الكتاب جملة وتفصيلا، كما وأنّ آيات العرض وأحاديثه المتواترة تضربها عرض الجدار مهما كثر محدثوها ومفتوها، فالسنة إذا لا تنسخ القرآن، كما ولا تنسخ نفسها، حيث السنة المنسوخة إن كانت خلاف القرآن فهي باطلة منذ كونها وليست سنة حتى تنسخ، وإن كانت وفاق القرآن فنسخها إذا نسخ للقرآن ولن يكون، اللهم إلا في سنة لا توافق القرآن ولا تخالفه، إذ لم يأت وحيها بعد في القرآن، فقد يكون تناسخ بينها قبل قرآنها [1] .

ففي الحقيقة إذا لم يكن القرآن ناسخا لوحي مثله ؛ لكونه مبطلا لما لا يمكن إبطاله جملة وتفصيلا فكيف تصل النوبة إلى السنة فتنسخ ما هو فوقها باعتقاد المؤلف ومبناه؟ والخلاصة إنّ القرآن لا مجال لوقوع النسخ فيه، وما يوجد فيه من بعض الآيات الصريحة فهو نوع من الابتلاء للمؤمنين في الطاعة والانقياد إليه تعالى فقط، واستمرار ذلك غير ممكن ولم يقع أصلا وأساسا.

رابعا: أصالة استقلالية المعاني عن أسباب النزول

إنّ الأسباب وشؤون نزول الآيات وإن كانت تساعد على فهم مقاصدها أحيانا لكنّها ليست شرطا في التعرّف على معاني الآيات الكريمة، ولا تحدّد المعاني بموارد نزولها، فلو أنّ الآية ماتت بموت الشأن الذي نزلت فيه، إذن لماتت الآيات كلها، وإنّما شؤون النزول مبرّرات وقتية لنزولها، تماشيا مع كل حادث وحديث في نزولها، فالآيات مستقلة في دلالاتها على معانيها، عُرِفت شؤونها أم لا، وإنما تكمّل دلالاتها رعاية لقرائنها المقترنة قبل ، أو بعد ، أو مع، أما البعيدة عنها من نظائرها، وأما شؤون نزولها فلا شأن لها أصيلا في تفسيرها، وإنما الشأن الأصيل هو مداليل الآيات نفسها دون شؤون سواها.

والدليل على ذلك هو ما روي عن المعصومين ﷺ "ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري أوله على

(١) المصدر نفسه ، ٤٠.

آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر"[1]، وفي نظر سماحته فالأسباب وشؤون نزول الآيات لا دخل لها في المراد والمفاهيم المستنبطة والمستخرجة منها، بل إنّما هي في مكان التوضيح والتبيين بنحو أكثر في أصل المفاهيم والمعاني الأصيلة لها ، وليس من اللازم الروجوع إليها في درك تلك المعاني.

خامسا: أصالة مراتبية المفاهيم القرآنية

إنّ ظواهر الآيات ومفاهيمها الأولية انطلاقا من قانون المفردات والجمل المركبة منها هي المنبع والمصدر من المعاني والمدركات الباطنية العميقة ، والتي تعدّ ذات مراتب ومدارج عالية التي لا يمكن للجميع الوصول إليها والحصول عليها، فالمراد من ظاهر القرآن هو اللائح من المعنى المطابق حسب قانون الأدب اللفظي، نصّا ، أو ظاهرا مستقرا، والباطن هو الإشارة واللطيفة والحقيقة، وهذه المراحل الأربع هي التي يرويها الإمام الحسين عن أبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام: "كتاب الله على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقايق للأنبياء" ، فهذه الرواية تكشف لنا حقيقة مخبوءة لدينا وهي مراتبية المفاهيم والمعاني القرآنية لأصحابها الحقيقيين حسب قدراتهم وقربهم إلى الله تعالى.

فالمعاني الباطنية هي سلسلة إشارات فلطائف ثم حقائق تنبع من المعاني الظاهرية لمن شرح الله صدره بالقرآن، عاش قلبه القرآن فعاش القرآن قلبه، فأصبح عشيرا للوحي القرآني [2]، فليست الإشارات إلاّ من مشيرات المعاني الواسعة لمن شرح الله صدره ، ولا اللطائف إلّا درجات من هذه الإشارات تلو بعض لمن يتدرج إليها بمدارج التدبر ولطيف التفكير وواسع الصدر، دون فوضى ادّعاء لكل من يهوى ما يهواه فيسميه إشارة أو لطيفة أو حقيقة [3]، فهذه الأصالة المراتبية ليست سانحة ومطلقة لكل داع ، بل خاصة لمستحقيها حسب درجاتهم ومكانتهم الإلهية بمجهوداتهم التقربية والعلمية إليه تعالى.

(١) المصدر السابق نفسه ، ٥٠

(٢) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، الصادقي الطهراني ، مصدر سابق ، ٥١.

(٣) المصدر السابق ، ٥٢.

وأورد بعض الروايات في الدالة على البطون والمعاني الباطنية وبيان المراد منه، ثم صرح في إثبات هذه المراتبية بقوله: فتجريد الآية عن مضيق من شأن نزولها هو من البطن الاوّل، فإذ يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾ لا يحمل الآية فقط على " الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ " بل يجريها وبأحرى على: " الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه" ، فمثلهم إذا ليس فقط كمثل الحمار، بل أضل سبيلا، كما أنّ حمل القرآن أثقل فإنّه أقوم قيلا ، إذا فنحن المسلمون المحمّلون القرآن كل على حدّه المستطاع... ثم وتحريرها عما تستأنسه الأفهام العامة من معان محدودة هو من البطن الثاني، وتزويدها سعة وعمقا وإيضاحا بنظائرها من آيات هو من البطن الثالث، وتحريرها عما قبلها وما بعدها من قرائن ومتعلقات غير أصيلة من البطن الرابع، وهكذا إلى بطون أخرى، رعاية لأصل الدلالة اللفظية كمنطلق، وحجج ودلالات قرآنية أخرى كوسائل للتحرير والتوسعة، معتمدين في كل ذلك على حجة من علم الكتاب أو أثارة من علم [1] .

وعليه فمن الأصول المعتمد عليها عند سماحته في استنباط ، واستخراج المعاني المعتبرة الدقيقة والعميقة من كتاب الله العزيز استنادا إلى الأدلة القرآنية والسنة المتواترة والصحيحة هو أصل مراتبية المعاني والمداليل.

الرابع: المنهج الفكري في التفسير

من أبرز الأمور في معرفة آراء ونظريات أي مفكر هو الكشف عن منهجه العلمي والمعرفة الدقيقة له ، وعلى ذلك نتطرق هنا إلى معرفة منهج العلامة الطهراني لكي يساعدنا في إدراك رؤيته العلمية في المجالات المختلفة وخاصة القرآنية منها.

أولا : كيفية الرجوع إلى القرآن

إنّ سماحة العلامة الطهراني أول ما يبدأ به في العملية التفسيرية للآيات القرآنية تبعا لأصوله الفكرية هو القيام بأخذ مجموعة من الآيات الواردة في موضوع معين، راجعا إلى القرآن كله باحثا عن الآيات المشابهة والموافقة للموضوع، كما يقول: فالأصل في كل شارد

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن ، ٥٤.

ووارد هو القرآن، يردّ اليه غير الضروري من الدين، ليعرف به المارد عن الوارد، ويميّز به الغث عن السمين والخائن عن الأمين، وإذا كان القرآن هو المعوّل والمرجع لسواه، فأن يكون مرجعا لنفسه أحرى، حيث التمسك بالقرآن في الأمور المشتبهة إصلاح لها، ووصول للرشد فيها، فهو أحق أن يمسك في تفسيره بنفسه[١] ؛ لأنّ "القرآن يفسر بعضه بعضا و ينطق بعضه على بعض" [٢] ، وليس له أن يفسر آية بتفسير آية أخرى بضرب القرآن بعضه ببعض ونثره نثر الدقل ، وإنّما بسرد الآيات المتماثلة المغزى، المتشابهة المعنى [٣] ، ولا يعني تفسير القرآن بالقرآن ضرب بعضه ببعض دون رعاية لمناسبات الآيات، وأن تنثر آياته نثر الدقل دون تأمل في رباطاتها[٤] ، ذلك الكتاب لا ريب فيه أنّه من رب العالمين، فكما الشمس هي دالة بنفسها على نفسها بإشراقها ، كذلك شموس الآيات القرآنية هي بأنفسها براهين ساطعة على أنّها ربانية المصدر والصدور، دون أي تدخل لأية عقلية مخلوقة [٥] .

فالقرآن هو الموضح والشارح لنفسه عن طريق جميع ما يتعلق بموضوع واحد وترتيبه حسب العلاقات والمناسبات الموضوعية فينور بعضه بعضا ويكشف الستر عن بعضه البعض، فراجع كيفية جمع آياته في التفسير في موارد مختلفة، ومن ذلك قوله تعالى من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ ﴾ [٦] ،عند بيان معنى (لقاء الله ولقاء الرب) حيث استشهد بسبع آيات في المورد.

ثانيا : كيفية التدبر في الآيات

بعد أخذ مجموعة من الآيات والبحث عن آيات متشابهة يبدأ بدراستها واحدة تلو الآخرى فيرتبها، وينظمها، وينسقها بالتدبر والتفكر، والتعمق والتحليل، للكشف عن المداليل والمفاهيم منها كما قال: فعلى المفسر التدبّر التام في آي الذكر الحكيم، متحللا عما

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، الصادقي الطهراني ، مصدر سابق ، ١ / ١٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٥.
(٤) المصدر نفسه ، ١٨
(٥) المصدر نفسه ، ٧ / ١٩٩.
(٦) راجع: المصدر نفسه ، ٩ / ٣٨٨-٣٩١

أثبته هو أو أثبتته الطرق العلمية أو العقلية، مستنطقا كل آية بنظائرها في المغزى، فيستفسر عنها أشباهها ونظائرها[1]، وفي كيفية تدبر الآيات المتشابهة أيضا: أن يجعل كلاّ دبر الاخرى كما يقتضيه ترتيب المعنى، ناظرا إلى الآية نفسها، ثم ما تحتفّ بها، ومن ثم نظائرها في سائر القرآن[2].

وبعد ما أورد آية التدبر من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ قال : وهنالك آيات مع هذه تأمرنا بالتدبر في القرآن حقه ، فتاركه مقفل القلب مغفّل: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ ﴿ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾.

فالقلب المتدبر واللب المتذكر هما اللذان يتدبران القرآن، وإنّ القلوب أوعية فخيرها أوعاها، ولا يتحدد القرآن بمعارفه الجمة بساذجة الأفكار، فإنّما لكل قلب قدر وعيه، والتدبر تفعّل من الدّبر، وهو في القرآن جعل كلّ آية دبر نظيرتها ودبر ما حوتها، كما هي دبر التفكر الصالح فيها ، ليحصل من هذه الثلاث حق المعنى وواقع المغزى من كل آية ، حيث "الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه"، وتدبّر ثان هو تواتر التفكر في القرآن بعد ذلك التدبر الثلاثي، تحللا عن إصر كل أثر من أفكار سابقة حاصلة من غير القرآن بنظرة تجردية تعني استنباط مرادات الله تعالى دونما تحميل لعالقة الآراء [3]، أي أن يكون المفسر خالي الذهن وصاف القريحة ، يقرأ الآيات على حروفها، ويدرسها في نفسها وقرينتها، فيكشف خباياها من المعاني بأشباهها عبر العقل المتفكر والمتدبر فيما يقرأ ويحلل ويستنبط ثم يستنتج فيعرض ما استخرجه منها.

ثالثا: كيفية الإستفادة من السنة

بعد جمع الآيات المشابهة والموافقة للآية مراد تفسيرها ، وضم بعضها إلى البعض والانتقال إلى مرحلة التدبر والكشف عن المراد الإلهي حسب الظواهر القرآنية، ومن

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، الصادقي الطهراني ، مصدر سابق ، ١ / ١٧.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٦.
(٣) المصدر نفسه، ٢٠٠.

هنا تصل النوبة إلى روايات صحيحة ومعتبرة متنا ولو لم يصح سندها كما يقول: وموقف السنة المطهرة هو موقف الهامش الشارح لكتاب الله ما ثبت أنها من سنته ولا يعرف إلا بموافقته لكتاب الله [١]، فليس للمفسر أن يعتمد على حديث ما لم يعرضه على القرآن، ولا له أن يعرضه ما لم يتدبر حقه في آيته... وما تفسير السنة للكتاب إلا إيضاحا لما أجمل على القاصرين ، لا لقصور في دلالات الكتاب، فإنّها بينات حتى في المتشابهات، وإنّما الغامض هو المعاني العالية المطلّة على الافهام دون الألفاظ التي هي في أعلى قمم الفصاحة والبلاغة، والرواية القائلة إنّ القرآن لا يفسّر إلا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو عن الأئمة عليهم السلام تؤوّل إلى الحظر عن تفسيره بالرأي[٢].

وفي إبعاد منهجه عن استعمال الروايات الضعيفة ، والموضوعة ، والإسرائيليات الدخيلة في المصادر الإسلامية يقول: فالمحدّث يفسره بما يجده من أحاديث تناقلتها الرواة، ناظرا إلى أسانيدها، غضا عن متونها، فإذا قيل: إسناده صحيح، صحّح به تفسير القرآن وافقه أم خالفه، رغم وجود الكثير من وثنيات وإسرائيليات ومسيحيات وأضرابها من خرافات تسربت إلى أحاديث الإسلام، فترسبت في كتب الحديث، مهما صحت أسانيد منها أو ضعفت[٣]، وعلى هذا الأساس تجنب العلامة الطهراني الاعتماد المطلق على السند كما ذهب إليه كثير من الإخوة أهل السنة، وبعض من أعجبه أهمية الاعتبار بالسند من الشيعة أيضا وخاصة الإخباريين.

يمكن مراجعة بعض الروايات التي انتقدها وناقشها في فرزات من تفسيره الفرقان. ومنها في قوله تعالى: " وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِه " حيث رووا خبرا يدل على تفضيل عمر بن الخطاب في نهيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة على جنازة المنافق ابن أبي [٤]، وكذا في تكفير أبي طالب وأبوي النبي عليهم السلام في قوله

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ١٦.
(٢) النصدر نفسه ، ٢٤-٢٥.
(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، الصادقي الطهراني ، مصدر سابق ، ٢٠.
(٤) راجع: المصدر نفسه ، ١٣ / ٢٤٤.

تعالى: ﴿ ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١)

رابعا: كيفية الاعتماد على علوم اللغة

إنّ اللغة والعلوم المتفرعة عنها كمعاني المفردات والنحو والصرف والبلاغة بأقسامها الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) من الأدوات التي اعتمد عليها في عمليته التفسيرية ، وعند ما نلاحظ موارد الاختلاف بينه وبين سائر المفسرين نشاهد تركيزه على علوم اللغة بنحو عميق ودقة عالية.

ومن باب المثال: ففي الفرق بين النهي عن التقديم والتقدم بين يدي الله ورسوله في سورة الحجرات عَلَّل لغويًا بقوله: لأنّ التقدم يخص المخاطب نفسه دون سواه، و التقديم يعمه وسواه ، فكما يحرم التقدم على الله ورسوله في حكم أو سواه، كذلك أن تقدم غيرك على الله أو على رسوله، وإن كان ذلك الغير رسول الله أن تقدمه على الله، أو إماما من الأئمة تقدمه على رسول الله، أو أن تساوي وتسامي بين الله وسواه أو بين رسول الله وخلق سواه(٢) .

وفي كون النهي شاملا للقول والعمل وغيرهما في الموضوع نفسه استدل بذيل الآية الكريمة ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ حيث قال: ليس ليختص التقديم الممنوع بالقول لأنه فقط المسموع دون العقيدة والفعل فانه ثني بـ"عليم" فيشمل غير القول مما يعلم من فعل أم عقيدة أم ماذا (٣) ،خلافا للعلامة الطباطبائي القائل: تذييله تعالى النهي بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يناسب تقديم القول دون تقديم الفعل، ودون الأعم الشامل للقول والفعل وإلا لقيل: إن الله سميع بصير ليحاذي بالسميع القول وبالبصير الفعل(٤)، ويبدو كون رأي الأول أصح من الثاني حيث إنّ العلم يشمل المبصر وغيره.

(١) راجع: المصدر نفسه، ٣١٧ فما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٧ / ٢٢١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين(١٤١٢هـ)، ١٨ / ٣٠٦.

وفي إثبات معصية آدم عليه السلام بأنّه ارتكب ذنبا حقيقيا قال ما ملخّصه: فهناك فيما فعله آدم وزوجه زلة وغواية وظلم وعصيان وشقاء، وكلّ منها كاف في التدليل على أنهما ارتكبا الحرام...، فالزلة هنا هي الزوال عن الحق أو زوال الطاعة...، والغواية جهل عن اعتقاد فاسد...، والظلم انتقاص إمّا بحق النفس والغير وهو أفحشه، أو بحق الغير وهو أوسطه، او بحق النفس وهو أدناه... وقد ظلم آدم نفسه فانتقص حاله ومستقبله [1]، فقد ركّز كل استدلاله هنا على اللغة ومفاهيم مفرداتها في تحليل الآيات التي استشهد بها. فالاستناد إلى اللغة وعلومها المختلفة من ضمن منهجه الفكري القرآني في اكتشاف المعاني واستنباط المعارف القرآنية.

خامسا: كيفية استخدام المناسبات القرآنية

فكما سبق في الأصول الخاصة من أنّه كان معتقدا بأنّ التأليف والجمع بين الآيات في السور، وبين السور بعضها إلى جنب بعض كان بالوحي الإلهي للنبي ﷺ، والذي تتولد منه معان ومفاهيم مستنتجة ، ومستخرجة منها باقتضاء العلاقات والمجاورة بينها فتظهر منها ما لا يمكن اكتشافه لولا ذلك الترابط والتناسق الصادر من العليم الحكيم ، وعلى هذا الأساس نشاهد تكوّن منهجه الفكري متركزا على الترابط بين السور والآيات ، وإن لم يكن شاملا وواردا في تفسيره لجميع السور أو الآيات في موضوعاتها.

فعلى سبيل المثال قال في مطلع سورة البقرة : ومن لطيف الترتيب تقدّم فاتحة الكتاب كبراعة استهلال للكتاب، ثم سورة البقرة وهي أوّل ما نزلت في المدينة ، تلمح لموقع الدولة الاسلامية فيها، كأنّها بداية الإسلام، كما وأنّ تأريخ الإسلام يبتدء باوّل العهد المدني، وكأنما العهد المكي لم يكن من عهود الإسلام، رغم أنه جذورها الأوّلية، مهما كان نماؤها في المدينة[2] .

وفي النظم والترتيب بين آيات سورة محمد المتحدثة عن الكفار في قسم ، والمنافقين في

(١) راجع التفصيل الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، في المصدر السابق، ١ / ٣١٨.
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٥٢.

قسمها الآخر قال بعد الكلام عن المجموعة الأولى: جولة مع المنافقين بعد جولة الكافرين، وإذا كان أولاء في النار فهؤلاء في الدرك الأسفل من النار بما توجه منهم إلى الإسلام والمسلمين من أخطار، فالله يستعرض فيما يستعرض كيدهم وميدهم، ولكي يحظرهم المسلمون ويحذروهم، فتبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى [1]، فالعلامة الطهراني هنا استفاد من المناسبات بين الآيات في تبيين المعاني والمفاهيم العميقة للكتاب العزيز.

سادسا: كيفية استخدام أسباب النزول

وبناء على مبناه في أسباب النزول فإنّ الركون إليها لم يكن في كل مورد، بل اكتفى بالأبرز وذات التأثير الخاص منها ولم يعتمد عليها كثيرا ؛ لأن المرادات القرآنية ومفاهيمه الأساسية لها استقلالية تامة وليس الرجوع إليها لازما ضروريا في فهم المراد الحقيقي للآيات، وخاصة باعتبار ضعف المعاني وعدم صحة كثير منها، فقد قلّل نقلها وإيرادها في تفسيره إلا للرد وحل مشكلاتها.

ومن الآيات التي أورد فيها أسباب النزول يمكن الإشارة إلى بداية سورة الفتح (ج٢٧، ص١٤٤)، ومطلع سورة الممتحنة (ج٢٨، ص٢٦٩) ، وآية التبين من سورة الحجرات (ج٢٧، ص٢٣٠) ، وآية التفسح في المجالس في سورة المجادلة، (ج٢٨، ص٢٠٥) ، وغيرها من الآيات الأخرى؛ فراجع.

وعلى كل حال، فالرجوع إلى أسباب النزول في الآيات وإيرادها في التفسير يُحتسَب كجزء من منهجه الفكري والتفسيري وإن لم يكن النقل بنحو مطلق في كل الموارد كما في التفاسير الأخرى، بل إنّ الأصل هو المفاهيم والمعارف المتضمنة في الآيات سواء بالرجوع إلى أسباب النزول أو بدونه.

سابعا: كيفية التعامل مع أقوال المفسرين

كان العلامة الطهراني معتقدا باستقلالية الرأي وحرية البحوث العلمية ، ولا يسلم

(١) المصدر نفسه ، ٢٧ / ١٠٥-١٠٦.

لرأي مهما كان صاحبه من الفضل والعلم إلّا بعد البحث والمناقشة ، فهو من المباني التي أسس فكره العلمي والعملي عليه ، ويرفض التقليد الأعمى في جميع حقول حياته ، ومن ذلك أيضا منهجه في التفسير، فلا يرى صحة الاستناد إلى آراء المفسرين ونقلها مطلقا من دون التحرز والتنقيب في أدلتها واستدلالاتها، بل إنّ هذا يعدّه تفسيرا بالرأي والقول على الله بغير علم ، ويقول في هذا الصدد : وإذا كان تفسير القرآن بالحديث دون نظر في متنه وعرض على القرآن تفسيرا بالرأي فتفسيره بآراء المفسرين متفردين أو مكثرين أو مجمعين، أو تفسيره بالآراء العلمية في مختلف الحقول ، إنّ ذلك لأحرى أن يسمى تفسيرا بالرأي، فإنّه يجمع تفسيره بغير حجة من كتاب أو سنة قطعية، تفسيرا فيه تحميل على القرآن ما لا يتحمله أو لا يلائمه [1] .

ويرى الاستناد إلى مثل هذه الآراء مما يسبب الركود في عملية التفسير والنشاط الفكري، ويمنع التطرق إلى تفسير كثير من الآيات ، فتبقى هملا في طيات الصفحات حيث يكتفي المفسر بما فسره الآخرون بالتفصيل ، أو الإجمال فيكون ناقلا للأقوال مقلدا في الآراء وضعيفا في الاكتشاف وإعطاء النظر العلمي المعتبر: وعلى المفسر العارف أن يفسر الآيات كما تهديه بعضها ببعض دون اتكالية على آراء المفسرين، فليسبر في كل آية غورها دون تحويل إلى كتب أو مقالات أخرى، فلا يحوّل البحث والتنقير عن آيات الأحكام إلى الفقه أو إلى ما ألف في آيات الأحكام، حيث الفقه كما نراه لا يعتمد كما يجب على الآيات في الأحكام، اللهم إلّا أحيانا وهامشيا، محولا إلى التفسير، أو الكتب المؤلفة في آيات الأحكام فتصبح آياتها غير مفسرة لا في التفسير ولا في الفقه ؛ و لذلك نرى فتاوى تخالف كتاب الله من فقهاء الإسلام شيعة وسنة، ولا قيمة لفتوى لا تعتمد على القرآن وإن اعتمدت على أحاديث أو شهرات وإجماعات ، حيث القرآن هو المصدر الأصيل [2] .

وفي الحقيقة إنّ مثل هذا التفسير الذي لا يكتشف جديدا ولا يعتمد الغوص في العقل والعلم أو أثارة منه يراه تفسيرا بغير علم، وهو من أقبح مصاديق التفسير بالرأي حيث قال:

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، ٢٨.
(٢) المصدر نفسه ، ٣٣-٣٤.

فالذي يفسر القرآن برأيه ، أو برأي مذهبه أو تقليده ، أو أيا كان من آراء إنّما يفسر نفسه أو مذهبه عبر القرآن بهواه دون أن يهتدي بهداه ، تفسيرا لنفسه دون تفسير القرآن نفسه ؛ فلذلك "كان مصيره إلى النار" "وليتبوء مقعده من النار" [١].

ويحذر من بعض العلوم البراقة التي تجذب الإنسان إلى نفسها ، وينبهه في أن لا تصرفه همته عن كشف معاني الآيات إلى تطوير مسائلها الخاصة عبر القرآن وآياته الشريفة ، وقال: فلا تغتر بالتحقيقات الفلسفية والتلطيفات العرفانية ، والتدقيقات العلمية التي تحول دون استنباط القرآن كقرآن، تحميلا عليه ما لا يتحمله [٢]، فقد انتقد التفاسير الكلامية والفقهية، والعرفانية والنظريات الفلسفية ، والعلوم التجريبية مع إيراد الأمثلة لكل منها ، ويعتقد بكون التفسير بها تحميلات على القرآن بما لا يجوز [٣] .

وكما يعتقد بأنّه ينبغي أن تكون العملية التفسيرية محاولة للكشف الجديد عن المعارف القرآنية التي تساعد في تطور الإنسان فكريا وماديا ومعنويا ، ويتحقق هذا عبر الإستناد إلى العلم والعقل بالتدبر والتفكر، وإذا لم يؤدي البحث العلمي إلى ذلك فسوف يصبح ركودا وتأخرا في الساحة العلمية والحياة البشرية ، والذي لا ينبغي وقوعه في التفسير، إذن فالعلوم تكشف جديدات، وجديدات من معارف القرآن متشابهات عقلية ، أو علمية تصبح محكمات على ضوء تقدم العقل والعلم ، فلا يستعجلوا فيما يخفى عليهم ، زاعمين أن لهم تفسير كل آية، أو كل زاوية من زواياها [٤] .

وخلاصة القول في كل ما تقدم من منهجية الفكر للعلامة الطهراني توصيته العطرة: تحلّلْ حينما تروم تفسير القرآن عن كل شارد ووارد حتى وعن مذهبك ، فضلا عن رأيك أو آراء الآخرين، تحلل عن كل ذلك وعش الآية التي تعني تفسيرها، بمفرداتها وجملها، بموقفها مما قبلها وما بعدها، وبنظائرها التي تعني معناها، عشها كذلك محقّقا صافي القلب

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، ٣١.
(٢) المصدر نفسه ، ٣١.
(٣) راجع: المصدر نفسه ، ٢٨ فما بعد.
(٤) المصدر نفسه ، ٣٣.

خالي الذهن إلّا عما تستمد به في تفهمها بمفهومها أو مصاديقها، إسنادا إلى عقل رائع ، وعلم بارع دون تحميل على الآية ما لا تتحمله نصا أو ظاهرا، أو لا تخالفه ولا توافقه ، حيث لا تمتّ بصلة دلالية أو معنوية بما تحمله عليها [١] .

ثامنا: كيفية اعتماد الظهوروتطويره

إنّ جعل الظهور كقاعدة الانطلاق الفكري في الكشف عن المعاني القرآنية مما يمكن عده من مكونات المنهج التفسيري للعلامة الطهراني، فإنّه في إثبات ذلك استدل بآيات عرض الروايات على القرآن بقوله : آيات العرض وأحاديثه شاهدة على أنّ ظهور الكتاب فضلا عن صريحه حجةٌ ، وإلّا فكيف يقاس الحديث على كتاب غير مفهوم أم لا حجة في دلالاته؟ وما قولة القائل: "القرآن قطعي السند ظني الدلالة ، والحديث ظني السند قطعي الدلالة" إلا خرافة جارفة ومسا من كرامة القرآن الذي بيانه أفصح بيان وأبلغ تبيان [٢] .

وعلى كل حال فالظواهر القرآنية هي المنطلق الرئيسي لجميع المعاني ، والمعارف المكتشفة من البطون ومراتبه من الدانية إلى العالية ، فأقل ما يجب التحري فيه في المرحلة الأولى هو فهم العبارة من الآية، وهي المعنى المطابق للفهم العام عند أهل اللغة، ثم يتبناه لسائر الزوايا في مربع التفسير حيث هو على العبارة والاشارة واللطائف والحقائق ، كما يتبناه في عرض الحديث على القرآن إذا كان يعني تفسير العبارة، كما يتبنى الثلاثة الأخرى فيما الحديث يعني تفسيرها [٣] .

تاسعا: كيفية مناقشته آراء الآخرين

من المكونات المنهجية الفكرية والعلمية للعلامة الطهراني بناء على مبناه في الحرية ، والاستقلال في البحوث ونتائج التحقيق نستطيع الإشارة إلى مواجهته الآراء والنظريات بالبحث والتنقيب والدراسة المعمّقة فيها ، بحيث يكتشف المراد والمغزي منها لصاحبها ، فقد استعان بهذا الأصل والمبنى كثيرا في القدرة والجرئة على مناقشة الآراء والأفكار مع

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن ، ٣١.
(٢) المصدرنفسه، الطهراني، ٢٤.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٦.

كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي وغيرهم من علماء الأديان الأخرى ، مثل: آية الله العظمي السيد أحمد الخوانساري، آية الله العظمى الكلبايكاني، آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، آية الله العظمى السيد روح الله الخميني، آية الله العظمى الميرزا مهدي الآشتياني، آية الله العظمى السيد أبو الحسن القزويني، آية الله العظمى المرعشي النجفي...[١]

إنّ الكيفية التي يستفيد منها العلامة الطهراني في مناقشة الآراء هي: أولا: يعرض القول أو الأقوال مختصرا، ويشير إلى ضعفها وعدم اعتبارها بنحو قطعي، ثم يسرد في الاستدلال ، ومثال ذلك في الآية المعروفة بـ(آية الذر) من سورة الأعراف حيث قال في طرح الأقوال وما لها من الأدلة : وقد وردت روايات حول الذر وعالمه متهافتة متضادة مع بعض، معارضة مع الآية ، وبجنبها أقوال وآراء غريبة قلّما يقرب منها منطوق الآية.

ثم يبدأ بمقدمة مختصرة في تبيين موارد الخطأ في تفسير الآية بنظره كما قال : ولكي نكون على بصيرة في مغزى الآية علينا أن ننظر إلى "عالم الذرية" من زاوية الآية نفسها بكل إمعان ودقة ، مع العلم المسبق أنّ "الذر" هي النمل، وليست الذرية! ولا نجد في القرآن كله إلّا "ذرة" و"ذرية"، وهما من أصل واحد مهما اختصت الثانية بقبيل الإنسان، فقد أوغلوا في الخطأ في تفسير آية الذرية لفظيا و معنويا [٢] .

ثم يدخل في يُحلل الآية محل البحث تحليلا بارعا ودقيقا من مفردات لغوية إلى جمل وما تحتويه من المعنى، وهو دراسة في سطور تارة أو في صفحات تارة أخرى، فيبين أدلته بالآيات المشابهة نزولا إلى الروايات المعتبرة، وفي طريق إثبات نظره ورأيه يحاول عرض الأقوال المخالفة مع الجواب عليها بكل وضوح، وفي النهاية يخلق إشكالا أو إشكالات على ما يذهب إليه فيجيب بأجوبة دقيقة وشافية في رأيه وهكذا.[٣]

وبعد انطواء هذه المراحل والمدارج يستنتج ويستخرج آرائه في الآيات القرآنية ثم

(١) النظرة الجديدة على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي، مصدر سابق، ٢١٧-٢٢٢.
(٢) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، الطهراني، مصدر سابق، ١٢، / ١٤-١٥.
(٣) راجع تفسير الآية الشريفة في المصدر السابق نفسه، وكذا تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة في: ١٣ / ٣١٧-٣٢٠.

يعتمد عليها في الساحة النظرية والتطبيقية.

الرابع: النماذج الفكرية

إنّ العلامة محمد الصادقي الطهراني يعد من المفكرين الإسلامين المعاصرين وله آراء ونظريات جديدة في العلوم والفنون الإسلامية ، فقد امتاز عن غيره بإرجاع كل المباحث العقدية والفقهية ، والأصولية والعرفانية ، والفلسفية إلى القرآن الكريم، بل جميع مؤلفاته مستقاة ومستندة إليه، كما كانت له رسالة عمليةٌ مستنبطةٌ مسائلها من آيات الذكر الحكيم ؛ لاعتقاده بمرجعية القرآن في كل شاردة وواردة مما يحتاج إليه البشر في حياته المادية والمعنوية، وهنا نود إيراد بعض الأمثلة من آرائه ونظرياته الجديد في بعض المسائل العلمية من اعتقادية وعرفانية، وفقهية وفلسفية وغيرها من مسائل علوم وموضوعات أخرى.

١) العلاقة بين مفردة العلم وبين الله تعالى في القرآن

عند ما نقرأ وندرس القرآن الكريم نشاهد استعمال كلمة (نعلم) بمشتقاتها وانتسابها إلى أفراد كثيرة، والتي منها نسبتها إلى الله تعالى، ولمّا كان علمه تعالى ليس بمحدود ولا مقيدٍ بقيود كالإنسان فمن هنا ذهب العلامة الطهراني إلى أنّ كل آية تنسب علم الله تعالى بالزمان فإنّه لا يقصد به المعرفة والإطلاع، بل هي من جذر العَلامة والتي تعني جعل ما يدل على شيء ، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ ﴾ قال: و{نَعْلَمَ} هنا كما في نظائرها هي من العَلَم: العلامة ، لا العِلْم المعرفة ، فالله لا تخفى عليه خافية ، فإنّه عليم بما في الصدور قبل أن تصدرها كأخبار، وإنّه يعلم السر وأخفى، فكيف تخفى عليه السريرة وما دونها فيبلوهم لكي يعلم؟! وإنما هو عَلَم: أن يجعل بالبلوى (جهادا وسواه) علامة على النفوس المجاهدة الصابرة المثابرة بما تجاهد وتصبر وتصابر ، وعلامة الأخبار الأفعال، فإنّها علامات النفوس، فيعرفُها الكيّسون من حق القول وحق الفعل، كما يُعرَف المنافقون من لحن القول ولحن الفعل، وكما يناسب دار الابتلاء هذا دون العلم عن الجهل وحاشاه، فإنه هراء! ، ودون العلم الفعلي أم ماذا، فإنّه تكلف وتعسف وكلام الله منه براء؛ لأنّه بيان للناس وهدى ونور، وهو حمال ذو وجوه،

فاحملوه على أحسن الوجوه. فـ"حَتَّى نَعْلَمَ" نجعل علامة لـ"الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ" ومنها أخباركم: الأعمال الجهادية الصابرة التي تخبر عن طيبة نفوسكم : "وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ": حتى نعلم .. وحتى نبلو اخباركم، فبلوى المؤمنين ذريعة لعلامة الإيمان، ولبلوى أخبار الإيمان، فلا تظهر أخبار الإيمان إلّا في تقلب الأحوال، وعند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان ... فكل بلوى تخلف علمين: علامتين، واحدة سرا لذوات الصدور، وأخرى جهرا لسائر الناس: حَتَّى نَعْلَمَ ...وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ!

وقد استدل بقاعدة صرفية في الحاشية في ذلك بقوله من أن الكلمة : نجدها في أحد عشر موضعا في القرآن، لم تأت في أحدها موجها على مفعولين، والعلم يتعلق دائما بمفعولين، فليس إلا عَلَمًا- من عَلَمَ يَعْلَم عَلَمًا و علامةً- لا عَلِمَ يَعْلَم عِلْمًا، يدل على ذلك وحدة المفعول وأدلة الآيات والعقول.

وفي النهاية أشار إلى أنّ هذا الرأي من مختصاته الفكرية ولم يذهب إليه أحد فيما يعلم، حيث قد يترك الأول للآخر فراغات ومجالات فيأتي ليصدها في مستقبل الأيام.[1]

٢) طهارة الإنسان أياً كان

كان الشيخ الطهراني يعتقد بطهارة أهل الكتاب كما في الآية الرابعة في سورة المائدة ، بل عَنْوَن على المسألة بعنوان طهارة الإنسان أيا كان فقال: لقد كثر الحديث عن نجاسة أهل الكتاب والمشركين والماديين ، ولكن لا دليل على نجاستهم من الكتاب أو السنة، بل إنّ هنالك آية صريحة بطهارة الكتابيين مثل: ﴿ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾[2] والطعام يشمل كل ما يؤكل، بل ويشمل الماء أيضًا ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[3]، فيتضمن أكثر الأغذية التي على المائدة، وأغلبها رطب عادة، ويمس باليد طبعًا، ولا سيما زمن نزول القرآن، إذن فكيف عدّ القرآن طعامهم طاهرًا وهو مما يمس من قبلهم

(١) راجع: تفسير الفرقان، ٢٧ / ١٢٩ الى ١٣٠.
(٢) سورة المائدة ، الآية :٤.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩.

عادة إن لم يكونوا طاهرين [١] .

٣) طهارة الماء غير المتغير

وفي الماء أيضا ذهب إلى طهارته مطلقا ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة سواء كرًّا كان أو غيره، متمسكا بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً ﴾ [٢] ، و ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ [٣] نصًّا بجمعهما على أنّ الماء طاهرٌ مطهِّر، وقد أنزله الله طهورًا، وفي حديث الرسول ﷺ المتواتر بين الفريقين على ضوء الآيتين "خلق الله الماء طهورًا لا ينجّسه شيءٌ إلّا ما غيَّرَ طعمه أو ريحه أو لونه"، ومتضارب الأحاديث مرجوعة الي الكتاب والسنة، فهو إذن طاهر معتصم ما هو ماءٌ الّا في تغير بالنجاسة.

ويقولون: يشترط في اعتصام الماء الراكد أن يكون كرًّا، فإن أصاب ما دونه قطرة دم، ثم ألقيت عليها ما دون الكر آلاف المرات منفصلة حتي صار بركة كبيرة، لا يطهر! ولكن الكر وحتي القذر منه لا يتنجس بمقدار من بول الكلب ما لم يتغير به؛ و﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾![٤]

٤) تجرد الروح وعدمه

إنّ سماحة الشيخ الطهراني من العلماء المتعمقين في الفلسفة، فقد أشرنا سابقا إلى بعض أعلام الفلاسفة الذين درس عندهم ، وعلى هذا استطاع التطرق إليها وانتقد بعض قضاياها ومسائلها قرآنيا ، ومن أبرزها قاعدة الواحد لا يصدر إلّا واحدا، وكذا مسألة تجرد الروح في مقابل المادة.

والجزء الأول من تفسيره الفرقان عند التفاته إلى مسألة التفسير بالرأي واتجاهاته، تطرق إلى اتجاه الفلاسفة في تفسيرهم الآيات القرآنية بما يتطابق أهوائهم وميولاتهم الفلسفية لإثبات نظرياتهم، فقال: يتقول بعض الفلاسفة إنّ لله عالمين: عالم الأمر وهو

(١) مقارنات فقهية، الطهراني، محمد، ٣١.
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤٨.
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ١١.
(٤) الفقه بين الكتاب والسنة، الطهراني، محمد ، ١٣-١٤.

إحداث المجردات، وعالم الخلق وهو إحداث الماديات مستندين إلى الآية ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [1] ، والآية: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ ﴾ [2]، فالروح من عالم الأمر المجرد عن المادة دون الخلق المادة!

رغم أنّ الأمر في الأولى هو مجموع الخلق والتقدير، وفي الثانية الخلق هو الخلق والأمر هو التدبير، إذ ليس ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ ﴾ إلا بعد عرض الكون خلقا وتقديرا: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ (٧: ٥٤) فـ " أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ " تنبيه أنّ له أمر التدبير والتسخير في السماوات والأرض ، كما له خلقهما دون أن يكون هو الخالق والمدبر سواه ، أو هو المدبر والخالق سواه، بل إنّه "لا إِلهَ إِلَّا اللهُ" في الخلق والتدبير سواء، ثم وخلق السماوات والأرض يعني خلق الكون أجمع فلا وجود لمخلوق مجرد عن المادة حتى يختص به الأمر، بل الأمر يشمل كلّ الخلق، ومن المستحيل قرآنيا وعقليا أن يكون كائن مجرد عن المادة أو الطاقة المادية سوى الله [3] .

هذا مختصر عن الآراء والنظريات الخاصة والعامة للشيخ العلامة محمد الصادقي الطهراني ، وله نظرات أخرى في العقيدة والعرفان والفقه والفلسفة والأصول، كما له آراء في المسائل الاجتماعية والسياسية والتربوية ، وغيرها من القضايا الأخرى لم نتطرق إليها.

النتيجة

بالنظر إلى ما تقدم من المباحث والمسائل المستدلة استنادًا إلى الكتب والمصادر المعتبرة ، نستنتج كون سماحة العلامة آية الله العظمى الدكتور محمد الصادقي الطهراني مفكرا قرآنيا في القرن الهجري الأخير، وهو من أصحاب النظريات والتجديد في المباحث القرآنية.

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥.
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤.
(٣) تفسير الفرقان، مصدرسابق، ١ / ٢٩، أو ١١ / ١٧٢-١٧٤، وكذا في ١٧ / ٣١٥-١٣١.

المصادر و المراجع

١. با تاريخ تفسير ومفسران، علوي مهر، حسين، آشنايى الطبعة الأولى، السنة ١٣٨٤ش، طبعة المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم – إيران.

٢. جامع التفاسير، مؤسسة نور، الإصدار الثاني، قسم معرفة المصادر، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، السيرة الذاتية للعلامة الطهراني.

٣. الجامع الصغير، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١٠هـ) .

٤. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة، الصادقى الطهرانى، محمد(١٤٣٢هـ)، الطبعة الثانية، السنة ١٣٦٥ش، طبعة الثقافة الإسلامية، طهران – إيران.

٥. الفقها بين الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، الصادقي الطهراني، محمد(١٤٣٢هـ)، السنة ١٣٩٥ش، طبعة شكرانه، قم – إيران.

٦. كنز الفوائد، محمد بن على(٤٤٩هـ)، تحقيق عبد الله نعمة، الكبعة الأولى، السنة ١٤١٠هـ، طبعة دار الذخائر، قم – إيران، ج١، ص٣١٩.

٧. مجموعة مقالات المؤتمر الثالث للصحوة القرآنية في التاريخ المعاصر، الحسيني، رضا أمين، الطبعة الأولى، السنة ١٣٩٥ش، طبعة شكرانه، قم – إيران.

٨. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر، الطبعة الثالثة، السنة١٤٢٠هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٩. المفسرون حياتهم ومنهجهم، الإيازي، محمد علي، الطبعة الأولى، السنة ١٤١٤هـ، طبعة وزارة التربية والإرشاد، طهران – إيران.

١٠. مقارنات فقهية بين الفقه القرآني و الفقه التقليدي، الصادقي الطهراني، محمد (١٤٣٢هـ)، الطبعة الأولى، السنة ١٣٩٥ش، طبعة شكرانه، قم – إيران.

١١. الموسوعة الشيعية الحرة (ويكى شيعه).

١٢. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين(١٤١٢هـ)، الطبعة الخامسة، السنة ١٤١٧هـ، طبعة النشر الإسلامي، قم – إيران.

١٣. النظرة الجديد على حقوق المرأة في الإسلام، الصادقي الطهراني (١٤٣٢هـ)، الطبعة الأولى، السنة ١٣٩٣ش، طبعة شكرانه، قم – إيران.

١٤. نقد منهج التفسير و المفسرين، الصفار، سالم، الطبعة الأولى، السنة ١٤٢٠هـ، طبعة دار الهادي، بيروت – لبنان.

١٥. سايت: مشرق: تاريخ انتشار: ١٠/ ٠١/ ١٣٩٤ – ٢٣:٤٤، عنوان: فقيه قرآني معاصر چه كسى بود.

١٦. سايت خبرگزارى بين المللى قرآن، ضلع سوم از شاگردان علامه طباطبائى كيست؟ رقم الخبر: ٣٤٨٤٢٥٥، التاريخ ٠١/ ٠١/ ١٣٩٥.